روافد

العدد الثاني. 1996

مجلة المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية

الملف: مقاومة الاستعمار، الأشكال والأبعاد

● الشيباني بنبلغيث، دور جنود الساحل في ثورة سنة 1864 ومقاومة الاحتلال الفرنسي سنة 1881 ● جمال بالحاج سالم، أحداث 9 أفريل 1938 بتونس من خلال تقارير الإقامة العامّة الفرنسيّة ● كمال جرفال، الطرق والزوايا بسوسة وموقفها من انتصاب الحماية الفرنسيّة بتونس من خلال تقارير ضبّاط جيش البرّ الفرنسي ● ليلى عدة، "النكتة"، جريدة بالسجن ● حسين رؤوف حمزة، الثابت والمتحول في الانتفاضات المسلحة بالبلاد التونسية أثناء الفترة الاستعمارية: محاولة تقييمية ● سليم قطومي، مدخل لدراسة المقاومة الريفية المسلحة بالبلاد التونسية بين 1952 و1954 ● لطفي الشايبي، مقدمة لدراسة المقاومة الوطنية المسلحة في جهة الأعراض بين 1952 و1954 ● وثيقة: الأبعاد الاجتماعية لحركة "الفلاقة" التونسية، أندري سويريس.

دراسات

● التليلي العجيلي ، مواجهة المحافظين للحركة الاصلاحية بتونس بين 1896 و 1914 ● عدنان المنصر، اليوسفية من خلال المصادر الشفوية، دراسة في الخطاب ● حبيب بلعيد، الاعتقال السياسي بالبلاد التونسية أثناء الفترة الاستعمارية (1881 - 1938) ● قمر كشير بندانة، جاك بارك في الكتابات التونسية: محاولة تقديم ببليوغرافية.

جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية بتونس

روافد
العدد 2. 1996

الفهرس

الملف مقاومة الاستعمار، الأشكال والأبعاد

الفيباني بنبلغيث ، دور جنود الساحل في ثورة سنة 1864 و مقاومة الاحتلال الفرنسي سنة 1881 5

جمال بالحاج سالم ، أحداث 9 أفريل 1938 بتونس من خلال تقارير الإقامة العامّة الفرنسيّة ..... 19.

كمال جرفال ، الطرق والزوايا بسوسة و موقفها من انتصاب الحماية الفرنسيّة بتونس من خلال تقارير ضبّاط جيش البرّ الفرنسي..... 39

ليلى عدّة ، النكتة ، جريدة بالسجن (بالفرنسية).*..... 5

حسين رؤوف حمزة ، الثابت و المتحول في الانتفاضات المسلحة بتونس أثناء الفترة الاستعمارية : محاولة تقييمية (بالفرنسية) * 27

سليم قضومي، مدخل لدراسة المقاومة الريفية المسلحة بتونس بين 1952 و1954 (بالفرنسية).*..... 61.

محمد لطفي الفايبي ، مقدمة لدراسة المقاومة الوطنية المسلحة في جهة الأعراض بين 1952 و 1954 (بالفرنسية).*..... 85

وثيقة : الأبعاد الاجتماعية لحركة "الفلاقة " التونسيّة ، أندري سويريس (بالفرنسية).*..... 153

دراسات

التليلي العجيلي ، مواجهة المحافظين للحركة الاصلاحية بتونس بين 1896 و 1914..... 53

عدنان المنصر ، اليوسفية من خلال المصادر الشفوية، دراسة في الخطاب..... 99

حبيب بلعيد ، الاعتقال السياسي بالبلاد التونسية أثناء الفترة الاستعمارية (1881 - 1914)(بالفرنسية).*..... 175

قمر كفيف بلدان ، جاك بارك في الكتابات التونسية : محاولة تقييم بيبليوغرافية (بالفرنسية).*..... 197

متابعات

ملتقيات وندوات..... 115

منشورات ..*..... 219

أطروحات..... 118

*انظر القسم الفرنسي

573

FACULTE DES LETTRES DE SOUSSE
Bureau d'ordre

اليوسفية من خلال المصادر الشفوية
دراسة في الخطاب

عدنان المنصر
المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية

يولي المؤرخون المعاصرون اليوم اهتماما متزايدا بالمصادر الشفويّة وأوجه توظيفها في دراساتهم. إذ بالرغم من المشاكل المنهجيّة التي تواجه المؤرخ عند استغلال هذا النوع من المصادر، فإنّ الشهادات الشفويّة المباشرة تمنحه عناصر قيمة وتسمح له بإثراء بعض مسائل البحث التاريخيّ التي تشكو من ندرة المصادر وقلّة تنوّعها. ويطرح المؤرّخون اليوم تساؤلات عديدة حول مصداقيّة الشهادات الشفويّة وهي تساؤلات مشروعة طالما أنّ صاحب الشهادة ،بحكم تورّطه المباشر أو غير المباشر في الأحداث، لا يستطيع فصل ذكرياته عن القراءة الواعية أو غير الواعية التي يطوّرها عن هذه الذكريات وهو غالبا ما يعتبر شهادته فرصة لاستعادة تجربته السياسيّة لإصلاحها وتنقيحها وإعادة بنائها إذا ما رأى ذلك ضروريًا. و في المقابل تفقد الشهادة الشفويّة مصداقيّة الانطلاق وتدفع المؤرّخ إلى إعادة النظر في منهجيّة عمله.

إنّ الاعتقاد السائد اليوم لدى عدد كبير من المؤرّخين المعاصرين بأنّ عليهم التسلّح بأكبر قدر من الحذر أثناء التعامل مع هذا النوع من المصادر لا يعدو أن يكون نابعا من فهم مغلوط لمكانتها بين جملة المصادر الأخرى. وفي أفضل الحالات عادة ما يأتي هذا الحذر المبالغ فيه في إطار الردّ على الرؤى المغالية في التفاؤل بثوريّة المصادر الجديدة في كتابة التاريخ المعاصر.

ويمكن الردّ على كلا الاتّجاهين بأنّ على المؤرخ التسلّح بنفس القدر من الحيطة في التعامل مع كلّ المصادر على اختلافها. فليس هناك من مصدر محايد على الإطلاق مهما بدا كذلك ، ومن هذا المنطلق لا تبدو الشهادات الشفويّة في موقف أقلّ أو أكثر صلابة من المصادر الأخرى. إنّ قيمة هذه المصادر الجديدة تكمن بالخصوص في توفيرها المعطيات التي تسمح بتوفير أرضيّة لدراسة الخطاب عن طريق محاولة استكشاف الجوانب المخفيّة من التاريخ وهو ما لا يتسنّى بغير مواجهة الشهادات بعضها ببعض.

وهكذا فإنّ هذا البحث لا يزعم كتابة تاريخ اليوسفيّة واليوسفيّين، كما أنّه لا يدّعي تقديم قراءة لذلك الصراع السياسي الذي عاش أطواره التونسيّون في خمسينات هذا القرن. بل إنّ أقصى ما يسعى إليه هو زعزعة بعض الأفكار الخاطئة التي تجعل من أيّة مواجهة سياسيّة فرصة لإعادة تقسيم المشهد السياسي .

إنّ الفكرة التي ما تزال شائعة اليوم والتي تعتبر اليوسفيين قبل كلّ شيء دستوريّن تثير لدينا بعض التحفّظ ، ذلك أنّه وإن أمكن التسليم بذلك بالنسبة لقادة الاتّجاه اليوسفي في الحركة الوطنيّة التونسيّة فإنّ المسألة لا تبدو بنفس القدر من اليسر بالنسبة لكل المناضلين اليوسفيّين إذ أنّ كلّ صراع سياسيّ يدفع إلى ساحته - بصفة مستمرّة - بأكثر العناصر تناقضا. ولا نعتقد أنّه بإمكان اليوسفيّة أن تفلت من هذا الحكم مثلما هو الشأن بالنسبة للاتّجاه البورقيبي أو لحركة التحرّر التونسيّة وكلّ حركات التحرّر عموما. فالمناضلون اليوسفيّون لا يجمع بينهم تصوّر للمعارضة التي واجهوا بها بورقيبة في منتصف الخمسينات وغالبا ما يقدّمون تبريرات مختلفة لانتمائهم إلى هذه المعارضة .

لقد سمحت لنا التحقيقات التي اعتمدناها في إنجاز هذا البحث بالتأكّد من وجود يوسفيّات عديدة عوضا عن يوسفيّة واحدة . فاليوسفي / النموذج غير موجود على الإطلاق وما نكتشفه لا يعدو أن يكون تجمّعا غير متجانس لسياسيّين محترفين وثوّار طهوريّين وانتهازيّين وأمّيّين يحركهم التضامن القبليّ. وهكذا فعلى مستوى التركيبة البشريّة والاجتماعيّة لا يبدو لنا الاتّجاه اليوسفي متضمّنا لأيّ طرافة أو خصوصيّة تميّزه عن باقي التشكيلات السياسيّة التي قد تنشأ في ظروف مماثلة.

وفي المقابل فإنّنا نعتقد أنّه يجب البحث عن هذه الخصوصيّة في الايديولوجيا اليوسفيّة وهي إيديولوجيا مبنيّة على الاحتجاج والمعارضة : معارضة بورقيبة واتّفاقيّات الاستقلال الداخلي والمحاكمات السياسيّة والاحتجاج على كامل المسار الذي سلكته أحداث الصراع فيما بعد.

ولكن ألا يمكن الحديث هنا أيضا عن إيديولوجيات يوسفيّة باعتبار اختلاف التصوّر السياسيّ العام من مناضل إلى آخر؟

إنّ التحقيقات الميدانيّة التي أجريناها مع مناضلين يوسفيّين من آفاق مختلفة وإن سمحت باستنتاج هذا الاختلاف في تصوّر المعارضة من شاهد إلى آخر فإنّها مكّنت أيضا من استخراج أنماط يمكن أن نصنّف فيها أهمّ الاتّجاهات الممثّلة لهذه الحساسيّة السياسيّة التي هزّت معارضتها للاتّجاه البورقيبي التاريخ التونسيّ المعاصر. ورغم الصبغة الإجرائية لهذا التنميط فهو يسمح لنا بتصوّر أوضح للمسار السياسيّ والتاريخيّ الذي تطوّرت فيه هذه المعارضة من ناحية نشوء تفاعلات مختلفة - ولكن قابلة للتصنيف - مع تطوّر الصراع ضد الشق البورقيبي.

الصنف الأول : القدماء

وقد اصطلحنا بذلك على المناضلين الذين ناضلوا من أجل التحرّر التونسيّ قبل التفافهم حول صالح بن يوسف. ويعود التزامهم الوطنيّ عادة إلى فترة الثلاثينات وهي أقدميّة نضاليّة مكّنتهم من اكتساب القدرة على صياغة خطاب متجانس نسبيًا مع المسار السياسيّ الذي سيسلكونه منذ منتصف الخمسينات. غير أنّ التناقضات أكثر حدّة في هذا الصنف منه في الأصناف الأخرى باعتبار الرغبة في التميّز وفي احتكار الإرث الاحتجاجيّ والنضاليّ اليوسفي التي تحدو هؤلاء المناضلين. وسوف نعتمد في دراسة الخطاب السياسي لهذه الشريحة على بعض الأمثلة التي نعتقد أنّها أكثر تمثيلا برغم الاختلافات الظاهرة والخفيّة التي يمكن أن تبرز من حين لآخر: حسين التريكي، علي المعاوي وعبد القادر زروق.

حسين التريكي من مواليد المنستير غير أنّ هذا القاسم المشترك بينه وبين الزعيم بورقيبة لا يبدو ذا أثر كبير على مواقفه السياسيّة اللاحقة. وهو كثيرا ما يؤكّد ذلك حيث يذهب إلى اعتباره نجاحا لم يحقّقه الكثير من المناضلين الذين لم يستطيعوا التحرّر من اعتبارات الإنتماء الجهويّ[1].

وقد أبدى حسين التريكي حماسا كبيرا للقضيّة الوطنيّة خاصّة غداة أحداث أفريل 1938 تجسّم في جمعه بين النشاط السياسيّ الصرف والإرهاب الثوريّ[2]. ولعلّ نفس الحركيّة والحماس قد دفعاه أيضا إلى استغلال الوضع الخاصّ الذي عرفته البلاد التونسيّة تحت الاحتلال المحوريّ لتكثيف نشاطه الوطنيّ[3] ممّا سيؤدّي به إلى مغادرة البلاد نحو أوروبا بمساعدة القوّات الألمانيّة في ربيع 1943.

هذا المسار النضاليّ هو الذي سيؤدّي به إلى *"اكتشاف الشخصيّة الحقيقيّة للزعيم بورقيبة"* لاقترابه منه أكثر بحكم الإقامة المشتركة التي جمعتهما في المنفى المصريّ. وهكذا تتحوّل شهادته من طابع الإطراء على بورقيبة إلى تجميع السلبيّات فينتقل تصوّره لبورقيبة من " *أب روحيّ* " إلى *"مغامر وانتهازيّ وصديق للغرب ارتكب من الأخطاء ما كلّف الحزب والحركة الوطنيّة غاليا. وبالإضافة إلى ذلك فقد كان منعدم القدرة على حفظ الأسرار مهما بلغت خطورتها كما أنّ قيادته للحزب اتّسمت بغياب الأساليب الديمقراطية*...الخ".بل إنّ حسين التريكي يذهب إلى إثارة الشكوك في طبيعة العلاقات التي ربطها الزعيم بورقيبة مع سفارة فرنسا في القاهرة[4].

وفي الحقيقة فإنّ تحوّل هذا التصوّر بحسب الفترة موضوع الشهادة يدلّ على قدرة قلّما تعترضنا في الشهادات الشفويّة، على إجراء تقسيم تاريخيّ لا يخلو من الروح النقديّة لتاريخ التحرّر الوطنيّ التونسيّ. لذلك فإنّ حسين التريكي يقترح بالنسبة لنا تصوّرا طريفا لليوسفيّة شديد الارتباط بتصوّره للبورقيبيّة. فهو يعتقد أنّه يجب البحث عن جذور الانشقاق في الظروف التي عاشها الوطنيّون التونسيّون في سنتي 1947و1948 *"إذ أنّ الخلاف الكبير الذي تفجّر داخل الحزب والحركة الوطنيّة*

---

1 يذكر حسين التريكي علالة العويتي كأشدّ الأمثلة وضوحا على ذلك.

2 قام حسين التريكي بتنظيم الدعاية للقضيّة الوطنيّة وشارك في تنفيذ عمليّات إرهابيّة ضدّ المصالح الاستعماريّة الفرنسيّة مثل تفجير المولّد الكهربائي بحلق الوادي في إطار نشاطه داخل لجنة المقاومة التي تأسّست غداة صدور الأمر بحلّ الحزب وإبعاد القادة الوطنيّين.

3 انتمى حسين التريكي إلى مجموعة الرشيد إدريس التي عبّرت عن مواقف متطرّفة نسبيّا في جريدة *إفريقيا الفتاة* ثم في جريدة *الشباب*.

4 حسين التريكي، شهادته.

يعود إلى هذه الفترة لكنّه لن يجد فرصة التعبير عن نفسه إلاّ في فترة لاحقة (1955-1956). وقد تمحور هذا الخلاف حول فلسفة قيادة الحزب حيث تمكّن الدكتور الحبيب ثامر عن طريق المكاسب السياسية التي حقّقناها في القاهرة وبالتالي في الأوساط الدستوريّة والوطنيّة عموما من دفع المكتب السياسي للحزب في مسار مختلف عن الذي حدّده بورقيبة . فقد كتب الدكتور ثامر في إحدى مراسلاته مع قيادة الحزب في تونس أنّه يجب على الحركة الوطنية أن تتحرّر من وصاية زعمائها. وتجسّم نجاح هذه الرؤية الجديدة في انعقاد مؤتمر دار سليم الذي سيعتبره بورقيبة فيما بعد"مؤتمر الخيانة" إذ كان مؤمنا بشرعية احتكاره للقضية الوطنية وتماهيه مع تونس أرضا وتاريخا[5].

إنّ الخطاب الذي يقترحه حسين التريكي يختلف عن ذلك الذي اكتشفناه لدى اطلاعنا على شهادات تنتمي إلى نفس الأفق. فمعارضته لاتّفاقيّات الإستقلال الداخلي تجد شرعيّتها في انتمائه لتيّار فكريّ مجدّد نشأ في القاهرة واحتضنت تونس انعكاساته مستبقا اندلاع الكفاح الوطنيّ المسلّح بسنوات عديدة. كما أنّ البعد المغاربيّ شديد الحضور في هذه الرؤية باعتبار تأكيدها أنّ التحوّل الذي شهدته الحركة الوطنيّة بدفع من الاتّجاه الثّامري لم يكن موجّها ضدّ بورقيبة بصفة خاصّة بل كان نتيجة لنقاشات شهدتها الأوساط الوطنيّة المغاربيّة بالقاهرة وكانت تستهدف وضع استراتيجيّة عمل جماعيّ لحماية الحركات الوطنيّة في بلدان شمال إفريقيا من كاريزما قادتها. ومن هذا المنطلق فإنّ شهادة حسين التريكي تضيف بعدا جديدا للاحتجاجيّة اليوسفيّة وهي لا تعتبر صالح بن يوسف مؤسّسا لهذا الاتجاه بل مجرّد تواصل لحركة سبقه تأسيسها ليتبنّى أطروحاتها فيما بعد ، فهو ثامريّ قبل أن يكون مؤسّسا لاتّجاه جديد[6].

غير أنّ هذه الرؤية ليست سائدة لدى المناضلين اليوسفيّين الآخرين المنتمين إلى صنف القدماء. فعلي المعاوي[7] على سبيل المثال يعتقد أنّ اتّفاقيّات الاستقلال الداخليّ بين تونس وفرنسا كانت أفضل الحلول للأزمة التي تردّت فيها الحركة الوطنيّة التونسيّة . وهو يرسم في شهادته لوحة قاتمة لوضع

---

5 نفس المصدر.

6 في شهادته يوجّه حسين التريكي عديد الانتقادات لصالح بن يوسف اذ أنّه لا يختلف في نظره كثيرا عن بورقيبة خاصة على مستوى التمسّك بالزعامة ورفض الاراء المخالفة.

7 علي المعاوي: مناضل دستوري من مواليد 1920 بمنزل جميل من جهة بنزت ، ذو تكوين زيتوني،ناضل في صفوف الحزب الجديد على المستوى السياسي والصحفي وتولّي عدّة مسؤوليّات دستورية بجامعة تونس، أتّهم فيما بعد بالتورّط في المحاولة الانقلابيّة لسنة 1962 وسجن من أجل ذلك.

حركة التحرّر التونسيّة التي تطوّرت في نظره من حركة متجانسة نسبيّا إلى فوضى لم يعد بالإمكان التحكّم في مسارها: "*كان الشعب التونسي يتذمّر من الفوضى التي أصبح يسبّبها الفلاّقة(عمليّات الاختطاف التي تعرّض لها بعض الأهالي من أجل طلب فدية، تهديد بعض المواطنين بالقتل،...الخ) وكانت التشكّيات من هذه الأعمال ترد على الحزب من المناطق التي يتكاثر بها الفلاّقة خاصّة، وعموما فقد أصبح الشعب التونسيّ يعيش حالة من القلق العميق بسبب المسار الذي اتّخذته حركة المقاومة المسلّحة فكان خطاب منداس فرانس بقرطاج فرصة الأمل التي كان على الحركة الوطنيّة أن تنتهزها...وكان الطيب المهيري قد سلّمني منشورا لأقوم بتوزيعه في أوساط المقاومين وهو منشور يعكس حالة القلق التي أصبحت تنتاب إدارة الحزب من تطوّر الأحداث ومن تكاثر أعمال الفوضى التي كان يتسبّب فيها الفلاّقة حيث تشابهت التوصيات التي احتوى عليها مع وصايا الرسول لأصحابه:" لا تقطعوا شجرة ولا تعتدوا على طفل أو شيخ"...الخ.لقد أصبح الوضع مأساويّا وكانت المفاوضات حول الاستقلال الداخليّ فرصتنا الوحيدة.*"[8]

إنّ الخطاب الذي يصرّح به علي المعاوي لا يختلف في جوهره عن الخطاب الرسمي في تبريره لإمضاء الاتّفاقيّات المذكورة .وفي نفس الإطار فإنّه لا يقترح يوسفيّة متحمّسة حيث يعتقد أنّ الاتّفاقيّات كانت الحلّ الوحيد لتجاوز الفوضى التي أصبحت سائدة وإن أبدى بعض التحفّظات على محتوى هذه الاتّفاقيّات[9]. فما يضعه في مواجهة بورقيبة اقتناعه بتضمّنها لنقاط سلبيّة وأخرى إيجابيّة وهي قناعة تجعله في منزلة بين البورقيبيّة واليوسفيّة. فخطاب علي المعاوي خطاب لم نتعوّده في الأوساط اليوسفيّة المؤمنة بأنّ الاتّفاقيّات موضوع النزاع لا تعدو أن تكون خطوة إلى الوراء.

---

8 تسجيل شهادة علي المعاوي . والملاحظ هنا أنّنا اعتمدنا على التسجيل الذاتي الذي قام الشاهد بإنجازه و سلّمه فيما بعد لوحدة التاريخ الشفوي بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنيّة.

9 لكن بورقيبة لم يكن يريد أن يعترف أنّ هناك جوانب سلبيّة في هذه الاتّفاقيّات، فكلّها في نظره إيجابيّات وانتصارات بخلاف ما كان يقوله صالح بن يوسف والباهي لدغم الذي كان قطبا من أقطاب المعارضة للاتّفاقيّات"(...) *كلّ الناس كانوا متّفقين على أنّ الاتّفاقيّات في حدّ ذاتها نكبة ولكنّنا كنّا أيضا نريد الخروج بماء الوجه عن طريق وضع حدّ للمقاومة والكلل والملل العامين...*" شهادة علي المعاوي.

والحقيقة أنّ ليوسفيّة علي المعاوي الخاصّة ما يبرّرها على مستوى مسيرته السياسيّة. فقد انخرط في حركة النضال الوطنيّ من أجل التحرّر عن طريق صالح بن يوسف الذي تسلّم قيادة الحزب في فترة إقامة بورقيبة بالمشرق في النصف الثاني من الأربعينات وهو ما سيطبع مسيرته. وبالرغم من ذلك فإنّ معارضته لبورقيبة لن تتجاوز حدودا معيّنة، لهذا لن يتورط في أيّ عمل عنيف طيلة الفترة التي استغرقها الصراع "*رفضا للفتنة* "[10] واعترافا بقيمة الزعيمين ودورهما على حدّ السواء. غير أنّ ذلك لا يعني افتقاد هذا التصوّر لأيّة روح نقديّة فهو يعتبر أنّ هدف بورقيبة من إمضاء تلك الاتّفاقيّات كان الإسراع بالوصول إلى الحكم لذلك "*كان مستعدّا حتى لإمضاء معاهدة حماية أخرى إذا ما كان ذلك يسهّل عليه بلوغ هذا الهدف. ويمكن فهم غاية بورقيبة بالنظر إلى طبيعة الأشخاص الذين كانوا حوله فهم أشخاص باعوا أنفسهم لمنداس فرانس وادغار فور وساهموا بطريقة مباشرة في حصول القطيعة بين الزعيمين...*"[11].

إنّ خطاب علي المعاوي الذي وقفنا عند بعض خصائصه يتمحور حول فكرة مركزيّة يفرد لها الشاهد أهمّية قصوى حيث يعتبر معارضته لبورقيبة سابقة عن اليوسفيّة ذاتها وناتجة عن رفضه إبداء أيّ شكل من أشكال النفاق السياسيّ تجاه هذا الزعيم ممّا قد يكون أشعر بورقيبة بنوع من العداء. لذلك لا يهمل علي المعاوي أيّة فرصة لتأكيد أنّ نضاليّته نابعة من قناعات وطنيّة صرفة وليس من ارتباطه بأيّ شخص مهما علت مرتبته السياسيّة.فصورة بورقيبة / الزعيم غير متطوّرة في خطاب الشاهد ولعلّ هذا يعبّر عن رغبة في النفي قد تكون تبريراتها خارجة عن نطاق الظرفيّة التاريخيّة التي تهتمّ بها الشهادة. ويمكن فهم ذلك بأكثر وضوح بالرجوع إلى المعاناة النفسيّة والماديّة التي عاشها الشاهد بعد استقرار الوضع لصالح الزعيم بورقيبة والقضاء على المعارضة اليوسفيّة حيث تعرّض للسجن دون محاكمة ووقع الزّج به ضمن المتّهمين بالمحاولة الانقلابيّة لبداية الستّينات كما حرم من حق

---

10 يتميّز علي المعاوي بتكوين زيتونيّ كلاسيكيّ حريص على تلافي كل أنواع الصراع الداخلي التي يعتبرها فتنة بغضّ النظر عن الأسباب التي قد تؤدّي إليها.

11 "*كان وجود عناصر مثل محمد المصمودي وحسّان بلخوجة والبشير زرق العيون وعلالة العويتي إلى جانب الزعيم بورقيبة في فرنسا مقلقا خاصة وأنّ حسان بلخوجة معروف بعلاقاته مع ادغار فور والوزراء الفرنسيّين وكذلك المصمودي، وكانا يخدمان ركاب فرنسا ويخلصان لها ما استطاعا....*". علي المعاوي: نفس المصدر.

ممارسة أيّ نشاط داخل الحزب.[12]

ومن شأن هذا الخلط أن يطرح بعض الاشكاليّات المنهجيّة الجديّة مثلما أكّدنا ذلك في بداية هذا العمل ولكن من شأنه أيضا أن يوضّح جملة من المعطيات الهامّة حول المسيرة السياسيّة للشاهد الذي نجد صعوبات كبيرة في تصنيفه يوسفيًا. فهو لا يبخل في توجيه الانتقادات للزعيم صالح بن يوسف وإن كانت أقلّ حدّة من تلك التي يخصّ بها بورقيبة [13]. كما أنّه لا يدافع عن الأطروحات اليوسفيّة الرئيسيّة بل على العكس من ذلك نجده يتبنّى كثيرا من الرؤى الرسميّة في قراءته للصراع البورقيبي / اليوسفي.

و حسب رأينا فإنّ المشكل لا يكمن في التصنيف بقدر ما يكمن في اليوسفيّة ذاتها. ومواصلة البحث في الأنماط الأخرى من اليوسفيّين توضّح لنا جوانب جديدة من هذه الإشكاليّة. فعبد القادر زروق[14] الذي ينتمي مبدئيًا إلى صنف القدماء مثل حسين التريكي أو علي المعاوي يطرح وجهة نظر أخرى للمسألة. فهو يعترف بكلّ وضوح أنّه لم يكن على علم بمعارضة صالح بن يوسف للاتّفاقيّات إلاّ منذ شهر فيفري 1955وقد سمحت له مسؤوليّاته الهامّة في قيادة الحزب بإبداء تحفّظاته على هذه الاتّفاقيّات وبرفض قرار رفت صالح بن يوسف من الحزب الذي اتّخذه مؤتمر نوّاب الحزب في الجهات باعتباره قرارا غير قانونيّ لأنّه ليس بوسع غير مؤتمر رسمي للحزب أن يصدر قرارا بهذه الأهميّة.

---

12 في 4 أكتوبر 1955 أصدر الديوان السياسي للحزب الجديد في اجتماعه بيانا يعلن عن إيقاف علي المعاوي وعزوز الرباعي عن النشاط الحزبي ورفت أحمد بن صالح من الحزب.وقد تواصل إيقاف علي المعاوي عن النشاط الحزبي سنوات طويلة. وفي 1962 ذكر إسمه كأحد المورّطين في الإعداد للمحاولة الانقلابيّة لكنّ تورّطه لم يثبت فأطلق سراحه دون محاكمة بعد أشهر طويلة من المعاناة.

13 يعتبر الشاهد أنّ صالح بن يوسف هو الذي كوّن جيل الأربعينات "*فالناس الذين خاضوا ثورة 1952 هم نتاج نضال وجهد صالح بن يوسف وعلي البلهوان والمنجي سليم بصفة خاصة لأنّ الحزب لم ير النور والتنظيم والانضباط إلاّ بعد خروج بورقيبة إلى الشرق... هذا شيء مفروغ منه ويقرّ به كلّ إنسان نزيه... فقد زال التسيّب في المصاريف وحلّ محلّه الانضباط...* "، علي المعاوي: نفس المصدر.

14 عبد القادر زروق: مناضل دستوري من جهة سليانة، مولود في جانفي 1918 ،انتقل منذ 1927 الى تونس للدراسة، إضافة إلى دوره السياسيّ ساهم في تنظيم مجموعات المقاومة المسلّحة بهذه الجهة ونشط فيما بعد في معارضة الاتّفاقيّات أعتقل في أواخر جانفي 1956 وحكم عليه بعشرين سنة أشغالا شاقة بتهمة التآمر على أمن الدولة الداخليّ وتكوين عصابات مسلّحة.

وفي هذا الإطار استقال عبد القادر زروق من الحزب وشرع صحبة صالح بن يوسف في التحضير لتأسيس حزب جديد مستفيدا من العلاقات الهامّة التي ربطها في فترة المقاومة المسلّحة مع الوطنيّين في جهة الشمال الغربي[15] لإعادة تكوين مجموعات مسلّحة بهدف معارضة الاتّفاقيّات : "*كانت سليانة في صفّنا وكنّا قادرين عسكريّا على منع جماعة الديوان السياسيّ من دخولها إذا ما أردنا ذلك إذ أنّ كلّ المقاومين الذين كانوا تحت قيادتي في السابق أعلنوا رفضهم للاتّفاقيّات وانخراطهم في حزب الأمانة العامة* " [16] .ومن ناحية أخرى يبدو أنّ عمليّات الاغتيال التي تعرّض لها بعض المناضلين البارزين والرافضين للاتّفاقيّات قد زادت في صلابة موقف الشاهد وخاصة اغتيال المختار عطيّة الذي نجح في ربط علاقات متينة مع نوّاب الحزب في الجهات بحكم دوره الأساسيّ في تمويل حركة المقاومة [17] في سنتي 1953 و 1954 .

إنّ ما يبرز من خلال الشهادات الثلاث هو غياب رؤية مشتركة داخل فئة اليوسفيّين القدماء للأسباب التي حدت بهم للانضمام إلى هذه الحركة. ومن شأن ذلك ، كما أسلفنا ، أن يعيد طرح إشكاليّات منهجيّة عويصة لعلّ أبرزها تتلخّص في مصداقيّة تصنيف هؤلاء ضمن مناضلي الحركة اليوسفيّة. فما الذي يجمع في حقيقة الأمر بين تصوّر حسين التريكي الثامري أوّلا و أخيرا و موقف علي المعاوي الضحيّة ورؤية عبد القادر زروق الذي لا يرى في صالح بن يوسف إلاّ حليفا جمع بينهما نفس الموقف من الاتّفاقيّات؟ ألا يمكن أن نستنتج أنّ اليوسفيّة ليست إلاّ ما نكتشفه عبر هذه الرؤى التي لا تتّفق إلاّ في معارضتها لبورقيبة بغضّ النظر عن مبرّرات هذه المعارضة سواء كانت رفضا للحكم الفرديّ الاستبدادي أو ردّ فعل على اضطهاد سياسيّ بالغ القسوة أو موقفا تقييميّا مختلفا للاتّفاقيّات ؟ أليست اليوسفيّة ذلك الأفق الاحتجاجيّ الغامضة أسسه وحدوده والذي استطاع أن يجمع حوله أكبر جانب من المعارضة في ظرف كانت فيه فرص النجاح في بناء معارضة من خارج الحزب أقلّ وثوقا ؟

---

15 "*وقع الانشقاق فانضممنا نحن إلى الأمانة العامة وانسلخنا من الديوان السياسي وقد نشرت جريدة الصباح هذا الانسلاخ... ثمّ كوّنت منظمة أخرى في الجبال لمقاومة الاتّفاقيّات والجيش الفرنسيّ...*" شهادة عبد القادر زروق التي أنجزها حبيب القزدغلي بتاريخ 13 جويلية 1992 ، وحدة التاريخ الشفوي بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية.

16 شهادة عبد القادر زروق، نفس المصدر.

17 في خصوص دور المختار عطيّة في تمويل حركة المقاومة بالجهات، أنظر مثلا شهادة الطيب بن بلقاسم من حامة قابس،إنجاز عدنان المنصر في أفريل 1993 ، وحدة التاريخ الشفوي بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية.

الصنف الثاني: الميدانيّون المسيّسون نسبيّا

والمقصود بهم رجال الميدان الممتلكون ثقافة سياسيّة ممّا سمح لهم بالجمع بين النضال السياسيّ والعمل الميدانيّ النشيط والفعّال . ولعلّ الطاهر لسود[18] من أصحّ الأمثلة على ذلك حيث أنّ بدايات نشاطه الوطنيّ تعود إلى ما قبل انشقاق الحزب الدستوري سنة 1934 كما أنّه أوّل من دشّن حركة المقاومة المسلّحة بالبلاد في مطلع 1952 [19].

إنّ ما لاحظناه لدى مناضلي الصنف الأوّل يغيب تماما أمام الرؤية الأصوليّة والجذريّة لقضيّة التحرّر الوطني التي نكتشفها لدى الطاهر لسود الذي "لم يضع سلاحه أبدا "و"لم يلتحق بالركب التحاقا" و"لم يغيّر أبدا تصوّره للاستقلال الذي يجب أن يكون "كما أنّه "لم يخن قطّ مبادئه "[20] . فما يميّز الطاهر لسود عن غيره هو أنّه يصوغ إيديولوجيا احتجاجيّة يستخدمها في ذات الوقت ضدّ الاتجاهين اليوسفي والبورقيبي .ولعلّ ذلك نابع بالأساس من تصوّره الأصوليّ المتشدّد للعمل السياسيّ ومن رؤيته الطهوريّة لمسألة التحرّر. لكنّه يعترف ضمنيّا أنّه اضطرّ للتحالف مع صالح بن يوسف تحت ضغط مصر الناصريّة مبرّرا موقفه من هذا الزعيم بأنّه مثل بورقيبة لم يكن يريد إلاّ الوصول إلى الحكم. ويتنزل هذا ضمن التصوّر السياسيّ للشاهد والمتميّز بحضور شديد للمضامين الثوريّة. فمعارضته للاتّفاقيّات التونسيّة الفرنسيّة ـ والتي سبقت حسب شهادته توضّح معارضة صالح بن يوسف ـ نابعة من مبدإ التحرّر التامّ الذي لا يمكن تحقيقه بالمفاوضات ومن هنا فإنّ نفس هذه

---

18 الطاهر لسود : مولود بريف الحامة حوالي 1910 ، نشط في صفوف الحزب الحرّ الدستوري التونسي بالحامة ثم ساند انشقاق 1934 ، تسلّم عدّة مسؤوليّات في صلب شعبة الحامة من أهمّها الإشراف على الشبيبة، شرع في تكوين أوّل مجموعات الثورة المسلّحة التونسيّة في 26 جانفي 1952، قام بعدة عمليات عسكرية جريئة في جهة الحامة قبل أن يلتحق بجهة تالة والقصرين لنشر المقاومة ، عرف بميله إلى الاستقلاليّة والتمسّك بالمبادئ التي قامت عليها الثورة وبرفضه للحلول الوسطى، نشط في معارضة الاتّفاقيّات عن طريق الاتّصال بالثورة المصريّة لجلب الأموال والأسلحة وإعادة تنظيم المقاومة المسلّحة، توقّف عن معارضة هذه الاتّفاقيّات منذ إعلان الاستقلال التام.

19 أنظر شهادته المنجزة من قبل حبيب قزدغلي بالحامة في جانفي 1993 . وأنظر أيضا شهادات كلّ مناضلي الحامة المحفوظة لدى وحدة التاريخ الشفوي بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية.

20 الطاهر لسود: شهادته، نفس المصدر. أنظر أيضا مداخلتنا : "الهمامة وبني زيد أثناء حرب التحرير الوطني"(بالفرنسية)، في أعمال الندوة الدولية السابعة حول *"المقاومة المسلحة في تونس في القرنين التاسع عشر والعشرين"* ، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية ، تونس 1995.

القناعة هي التي دفعت به إلى مساندة انشقاق مارس 1934 وانشقاق 1956/1955 .

كما أنّ التحفّظات التي يبديها تجاه بورقيبة وصالح بن يوسف على حدّ السواء تفسّر بقناعته الراسخة في قابليّة كلّ الزعماء محترفي السياسة للتضحية بمبادئهم .وأهمّ هذه المبادئ وحدة المصير بين قضيّة التحرّر التونسية وقضيّة الجزائر والمغرب وكامل الوطن العربي. وسيؤدّي به وفاؤه لهذه الفكرة إلى قيادة العمليّات العسكريّة ضدّ القوّات الفرنسيّة بالجزائر بمنطقة سوق أهراس وإلى السفر إلى مصر لجمع الأموال والأسلحة بهدف دعم معارضة الاتّفاقيّات التونسيّة الفرنسيّة وأخيرا إلى قيادة "لجنة تحرير شمال إفريقيا".

كما لا يظهر من خلال خطاب الطاهر لسود أيّ تعلّق بالزعامات مهما علت قيمتها وإن رتبّها ضمنيّا ترتيبا تفاضليّا يحتلّ فيه جمال عبد الناصر المرتبة الأولى وهي أوّل شهادة يتماهى صاحبها مع رمز من خارج الفضاء التونسيّ وإن أمكن ملاحظة اتّجاه مشابه ولكن أقلّ تأكّدا لدى حسين التريكي في خصوص الأمير عبد الكريم الخطابي.

إنّ لطرافة الخطاب السياسيّ الذي نكتشفه لدى الطاهر لسود ما يبرّرها على مستوى مسيرته النضاليّة. فهو وإن نشأ في فضاء مسيّس نسبيّا وهو فضاء منطقة حامة قابس فإنّ العمل الميدانيّ شكّل بالنسبة إليه أهمّ أشكال التميّز، ولكنّ هذه الميدانيّة كانت باستمرار تأسيسيّة ومتحرّرة من جميع أشكال الولاء الحزبي أو العائلي والجهوي.[21]

الصنف الثالث : رجال الميدان

يتعلّق الأمر في هذا الصنف بمناضلي "الدرجة السفلى" المحتاجين دوما إلى زعيم يتبنّون موقفه وهم مناضلون ساندوا الإتّجاه اليوسفي ومنحوه قوّته التي دخل بها الصراع. ولكنّهم في الآن ذاته لا يقترحون سوى تصوّر منقوص لمسيرتهم السياسيّة وإن بدوا أكثر حماسا. ويمكن تقسيم هذا الصنف إلى فئتين بارزتين بحسب نوعيّة الخطاب :

---

21 المصدر والمرجع السابقان.

* خطاب خاصّ بأولئك الذين دخلوا النشاط السياسيّ عبر الزعيم صالح بن يوسف مكوّنين بذلك الجيل الثاني للحزب الدستوري الجديد، جيل الأربعينات. وقد تأثّر هؤلاء كثيرا بشخصيّة هذا الزعيم الذي طبع حضوره مسيرتهم السياسيّة المستقبليّة. ومن هنا لم يكن قرار انضمامهم إلى المعارضة قرارا مفاجئا ولم يتطلّب من لدنهم اجتهادا نظريّا كبيرا. ويعتقد هؤلاء المناضلون أنّهم معفون من تبرير هذا الاختيار لكنّ شدّة وقوعهم تحت وطأة الكاريزما اليوسفيّة تبيّن أنّها أهمّ هذه التبريرات. ومن أوضح الأمثلة على هذه الفئة المناضل محمد صالح البراطلي[22] .

تؤكّد شهادة البراطلي الجوّ العام الذي برزت فيه المعارضة للاتّفاقيّات التونسيّة الفرنسيّة حول الاستقلال الداخليّ وعلى دور الظروف السياسيّة العامّة في بلورتها بالمهجر قبل أن تنتقل عدواها إلى تونس. ذلك أنّ كلّ الأطراف السياسيّة الفاعلة في ليبيا ومصر كانت تبدي معارضتها للاتّفاقيّات وتسلّط بالتالي ضغطا نفسيّا وماديّا على الوطنيّين التونسيّين من أجل دفعهم إلى تبنّي نفس الموقف.وأهمّ هذه الأطراف هي الحكومة المصريّة ومكتب المغرب العربي بالقاهرة ،بالإضافة إلى الجزائريين والمغاربة. أمّا في أوساط التونسيّين فقد أدّى تبنّي أبرز قادة الحركة الوطنيّة الميدانيّين والسياسيّين للموقف المناهض للاتّفاقيّات مثل الرشيد إدريس والباهي الأدغم وعلي الزليطني...الخ إلى التأثير على المناضلين الآخرين.

والشاهد، بتأكيده دور مجمل هذه الظروف في إقناعه بمعارضة الاتّفاقيّات، يجعل من موقفه ذاك الموقف الطبيعيّ والمنطقيّ باعتبار أنّه ضمّ الأغلبيّة ويعتبر الموقف المعاكس موقفا شاذّا ذلك أنّ "الإجماع" كان مع صالح بن يوسف وليس مع بورقيبة. ومن هنا فإنّ الشاهد يحاول الردّ على تهمة حاولت الدعاية الرسميّة إلصاقها بالمعارضة اليوسفيّة طيلة العقود الطويلة التي استغرقها حكم بورقيبة وهي تهمة الخروج عن الإجماع الذي يعني في جانب من جوانبه تطرّفا سياسيّا لم يكن بإمكان التونسيّين قبوله.

22 محمد صالح البراطلي: مولود في سنة 1929 ببنزرت، شارك في عمليات التخريب ببنزرت ثمّ انتقل الى تونس حيث نظّم عمليّات تخريب أخرى وكان يموّل العصابات بالقنابل، وفي نوفمبر 1952 غادر تونس إلى طرابلس ضمن قافلة تهريب، تدرّب في طرابلس ثم في مصر على أمل العودة إلى تونس لمواصلة الثورة المسلّحة. شهادة من إنجاز حبيب القزدغلي بمدينة بنزرت في جويلية 1993.

ومن جهة أخرى فإنّ تأكيد مسألة "الإجماع" لا يعفي الشاهد من توضيح طبيعة العلاقة التي ربطت مصيره بمصير صالح بن يوسف. فقد نشأت هذه العلاقة في فترة الأربعينات وزادت في صلابتها تجربة المنفى الليبي والمصري ثم زادتها تجربة المتابعة والسجن والتعذيب تأكيدا: " *وكنت أعرف صالح بن يوسف منذ الأربعينات وحضرت معظم اجتماعاته، أمّا بورقيبة فلم أحضر إلاّ الاجتماع الذي نظمه عندما عاد من القاهرة (بعد مؤتمر دار سليم) وقبل ذلك حضرت له اجتماعا وأنا طفل في سنة 1938 صحبة والدي وكان معه محمود الماطري...تنظيم الحزب ما بعد الحرب أوجده صالح بن يوسف، الاتحاد العامّ التونسيّ للشغل خلقه صالح بن يوسف حيث أتى بفرحات حشاد من الس.ج.ت. الشيوعيّة وكلّفه بتكوين الاتّحاد، وهو أيضا من كلّف ابراهيم عبد الله الذي كان موظّفا بالإقامة العامّة الفرنسيّة بتكوين اتّحاد الفلاحين، وهو أيضا من وحّد الكشّافة بعد أن كانت مشتّتة في منظّمات مختلفة... وطبيعيّ في تلك الفترة أن يكون هذا النشاط قد خلق له عداوات...*"[23] .

وعلى مستوى آخر تبدو التجربة اليوسفيّة من خلال هذه الشهادة - وإن لم يتجاوز فيها صاحبها دور اليد التنفيذيّة[24] - تجربة تمنح صاحبها نقطة ارتكازه النضاليّ حيث استغل فيها مجمل العلاقات التي ربطها خلال الفترة السابقة من نضاله الوطنيّ كما أبرز فيها قدراته الميدانيّة والتنظيميّة التي اكتسبها أثناء إقامته بمصر .لذلك سيتمسّك بها وبأطروحاتها تمسّكا شديدا حتى بعد إعلان الاستقلال التامّ مجسّدا بذلك تلك العلاقة الشخصية بالزعيم صالح بن يوسف رافضا أن يوّجه له أيّ انتقاد مهما كان بسيطا.

* خطاب خاص بأولئك الذين لم يعرفوا صالح بن يوسف مباشرة والذين تمثّل اليوسفيّة بالنسبة إليهم نضالا من أجل الاستقلال التامّ لذلك لن يتأخروا في وضع أسلحتهم غداة اتّفاقيّات 1956. وقد انتمى هؤلاء إلى اليوسفيّة تحت تأثير قادتهم العسكريّين المباشرين مثل الطاهر لسود أو محمود بن حسونة[25] .وسنعتمد في دراسة الخطاب الذي يطوّره هذا الصنف على ثلاث شهادات جمعناها بحامة

---

23 محمد صالح البراطلي: شهادته، نفس المصدر.

24 إجابة على سؤال المستجوب هل كانت المعارضة قد نظّمت في ليبيا أجاب الشاهد بأنّه كان جنديًا تصله الأوامر فينفذها ولا يعلم إذا كانت المعارضة قد نظمت بعد ...

25 محمود بن حسونة هو أحد قادة المقاومة المسلّحة البارزين بجهة حامة قابس . حول هذه المسألة أنظر مثلا شهادة إبراهيم الفطناسي الحامي المسجّلة بتونس بتاريخ 30 أكتوبر 1993 و شهادة الطيب بن بلقاسم الحامي المسجلة بتونس في أفريل 1993 ، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية.

قابس محاولين استنباط ما هو مشترك بينها جميعا.

إنّ أوّل ما يبرز داخل هذه الفئة هو تأكيد غموض الوضع السياسي العام غداة عودة صالح ابن يوسف وبورقيبة إلى تونس. ويبدو أنّ السبب المفسّر لهذا الغموض هو البعد عن مدينة تونس التي عادت إلى احتكار جلّ النشاط الوطنيّ وإلى صعوبة متابعة التطوّرات المتسارعة للأحداث واختلاط الأمور على أوسع الفئات من الوطنيّين حيث كانت الأميّة غالبة.

وفي هذا الإطار فإنّ تبنّي اليوسفيّة سوف يبرز كردّ على خيبة أمل حاول ترسيخها القادة الوطنيّون المحليّون وخاصّة الطاهر لسود والحاج علي خذر وهو ما يبدو من خلال شهادة صولة بن الصادق[26] :

" *علمنا بمسألة الاستقلال الداخلي فاتّصلت برئيس الجامعة الدستوريّة عبد الله جراد لأستفسر الأمر. وكان سي الطاهر بعيدا عن المنطقة فلم يكن بالإمكان استشارته، لذلك اتّصلت بعبد الله جراد ليفسّر لنا مسألة تسليم الأسلحة، فقال لي يجب أن تضعوا الأسلحة فوضعناها (...) كانت اللجنة التي اتّصلت بنا برئاسة محمد الجدي، سلّمنا لها الأسلحة، وفي الحقيقة فقد سلّمنا لهم شيئا طفيفا أمّا الأسلحة الجيدة فقد احتفظنا بها (...) ثم ملنا إلى ابن يوسف وقابلناه في قابس سنة 1955 وقد حضر سي الطاهر ذلك الاجتماع، واتّفقنا على الرجوع إلى الجبال من أجل الاستقلال التام، وذهب سي الطاهر إلى مصر وأرسل لنا كميّات من الأسلحة فأصبحت ثورة أقوى من الأولى، كانت حربا ضدّ فرنسا التي احتمى بها البورقيبيّون (...) عندما وقع اغتيال الحاج علي بن خذر كنت بعيدا عن الحامة (...) وكان في ظنّنا أنّ الجماعة متّفقون على هدف واحد*[27] *غير أنّنا كنّا مع الاستقلال التام ولم نكن مع بورقيبة أو مع ابن يوسف (...) سي الطاهر لسود عاد بعد الاستقلال التام، وعندما سأله بورقيبة لماذا ساند ابن يوسف قال له أنّ معبوده هو الاستقلال، هو الدين والوطن، وليس ابن يوسف (...) كان هدف الطاهر ومن معه الاستقلال التامّ فقط (...)*"[28] .

---

26 صولة بن الصادق: مولود سنة 1913 بالحامة وهو من عرش الخرجة (عرش الطاهر لسود، في سنوات الثورة، قاوم معه بالجنوب ثم انتقل معه الى الشمال بعد معركة العيدودي في أواخر سنة 1953 ، افترق عن الطاهر لسود وسلّم سلاحه في قابس... شهادة من إنجاز حبيب القزدغلي بمدينة الحامة في جانفي 1993.

27 كان الاعتقاد في أنّ الخلاف بين الزعيمين بورقيبة وابن يوسف مجرّد مناورة لدفع فرنسا إلى تقديم المزيد من التنازلات شائعا في أوساط المقاومين بالجهات مثلما يبرز من خلال معظم الشهادات التي تتعرّض إلى الخلاف البورقيبي اليوسفي والمحفوظة بوحدة التاريخ الشفوي بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية.

28 صولة بن الصادق: شهادته، نفس المصدر.

ونجد نفس المعاني في شهادتي علي بن محمد قرماسي[29] والحاج محمد بن فرج السبوعي[30] حيث يوضّح الأوّل دور الحاج علي خذر في إقناعه بمعارضة الاتّفاقيّات[31] في حين يؤكّد الثاني أنّ التزامه بفكرة الاستقلال التامّ هي التي أملت عليه موقفه من تلك الاتّفاقيّات :"*انضممت إلى الأمانة العامة، كنّا كثيرا، كانت غايتنا الاستقلال التام وليست نصرة شخص على آخر، كنّا رافضين مبدأ التدرّج على عشرين سنة لأنّنا تعبنا كثيرا ولم تكن النتيجة في مستوى ما قدّمناه. خرجنا للجبل وبدأ يصلنا سلاح عصريّ.... سمعنا بالاستقلال التامّ من جريدة قرأها علينا إبن أخي فقلت ماذا نريد بعد الآن؟ نحن نريد الاستقلال التامّ وليس التقاتل فيما بيننا. رفض من معي التسليم وأصرّيت أنا على العودة إلى الحامة(...) أرسلنا في طلب المعتمد فجاء وتفاوضنا وطلب إمهاله حتى يتّصل بالوالي الذي أعطانا الأمان (...) اشترطنا أن نذهب إليه بسلاحنا فوافق الوالي محمد الحبيب وكان قبل ذلك معنا في الثورة وكنّا مثل الإخوة ثم استقبلنا بحرارة وأذن له الطيب المهيري في إعطائنا الأمان (...) .قلت للجماعة إنّني سأسلّم سلاحي لأنّ غايتي هي الاستقلال التامّ وقد حصل (...) رفضنا الاستقلال الأوّل لأنّه كان منقوصا ولأنّنا تعبنا كثيرا وعندما جاء الاستقلال التامّ كنّا قد بلغنا هدفنا*"[32] .

---

29 علي بن محمد قرماسي: مولود في جانفي 1925 بالحامة من وسط فلاحي ، انخرط في" جمعية الحديد" والنار وشارك في بعض العمليّات العسكريّة لكنّه لم يلتحق بالجبال إلاّ في 1953 حيث نشط في مجموعة يانس قرب الحامة، ولم يغادر المنطقة إلى الشمال حتّى حين تسليم الأسلحة في ديسمبر 1954. شهادة من إنجاز عدنان المنصر بمدينة الحامة بتاريخ 29 جانفي 1993.انظر معطيات اضافية اضافية حول هذه الجمعية في مداخلتنا "الهمامة وبني زيد..." مرجع مذكور.

30 الحاج محمد بن فرج بن عمار السبوعي(الحامة):مولود سنة 1920 بمنطقة المرازيق، انخرط في الحزب سنة 1937. نشط في "جمعية الحديد والنار" كعنصر ارتباط مع المقومين في الجبال لكنه لم يغادر الحامة إلى الجبال إلا في الفترة اليوسفيّة. شهادة من إنجاز عدنان المنصر بمدينة الحامة بتاريخ 29 جانفي 1993 .

31 "(...) *فيما بعد انضممت إلى اليوسفيّة بعد أن كثر الخلاف، فقد حضرت اجتماعا في دار الحاج علي خذر تمّ بينه وبين شخص من قريانة اسمه رابح بن يونس، وشخص من بنقردان إسمه المكي قريصيعة وقد كانوا مختلفين حول الاتّفاقيّات والاستقلال الداخليّ... كلّ ذلك بعد أن سلّمنا الأسلحة. انضممت إلى اليوسفية وقد اعتقلت في ورغمة عندما كنت بملابس مدنيّة أنا وشخص آخر نحاول الاتّصال بجماعة من بنقردان لبحث إمكانيّة تهريب أسلحة من ليبيا حيث كان هناك الطاهر لسود* ..."علي بن محمد قرماسي (الحامة)، شهادته، نفس المصدر.

32 الحاج محمد بن فرج بن عمّار السبوعي: شهادته، نفس المصدر.

وفي الحقيقة فإنّ هذا الصنف من المعارضين للاتّفاقيّات سيكون أوّل من يضع سلاحه بعد مارس 1956 مفقدا بذلك اليوسفيّة امتدادها الجغرافيّ وعمقها البشريّ الذي كان بالإمكان أن يقلب الأوضاع ضد الشق البورقيبي في فترة تميّزت بتغيّر التحالفات وهشاشتها. وبالإضافة إلى ذلك سيساهم هؤلاء في تحقيق البورقيبيين لأهمّ الانتصارات السياسيّة الموالية عن طريق المشاركة المتحمّسة في "معارك السدود" الممهّدة للجلاء العسكري[33].

وهو ما يقنعنا بمحدوديّة الدور الذي لعبته شخصيّة صالح ابن يوسف في بناء تلك المعارضة وفي المقابل فقد استطاع بورقيبة عن طريق توظيفه البارع للعناصر الأكثر تناقضا تحقيق انتصارات لن تفلح الهزّات اللاحقة في محوها من ذاكرة التونسيّين.

33 عادة ما يقدّم المقاومون مسألة مشاركتهم في الأحداث اللاحقة مثل معارك السدود كتأكيد على أنّ الأساسيّ بالنسبة إليهم لم يكن الارتباط بشخصيّة صالح بن يوسف وإنّما تحقيق الاستقلال التام.